من شعر محمد عبدالله محمد

شجيرة الورد !*

هل يستطيع طالب الورد أن يعثر على شجيرته بين الخصومات والعداوات، وهل استطاعت الأديان أن تجمع الإنسانية على وداد المحبة، ومباعدة العداوات ؟! اختار الأستاذ الشاعر المحامي الأديب محمد عبد الله محمد : " شجيرة الورد " عنوانا لقصيدة يخوض فيها إلى أعمق الأعماق، ويرصد عوامل نمو الأحقاد وتبادل العداوات بين الجماعات، وهل يمكن لمجتهد أن يفهم الدين إذا استحف بتداخل هذه الأحقاد والعداوات التي يتصور باعثوها أنها يمكن أن تتوارى وراء علو صوت العبادات .. هذه الأحقاد التي تتحذر وتتصل حتى بعد الموت وتتحكم في الأرواح والمصائر إلى الأبد .. إن "شجيرة الورد" لا تبقى في الغابات إلا مع الأشواك .. مصيرها للأسف ليس في يدها، بل في قبضة العابة الشمطاء التي ترمز إلى شرور الحياة، ومادا يفيد عبير أو أريج هذه " الشجيرة " إذا لم يشاركها فيه الأقارب من عشب ومن شجر ؟!

يقول الشاعر الحكيم محمد عبد الله محمد :

هذا إلى النارِ للإحراقِ يرصُدُهُ
فإنَّهُ الحَصْمُ عادانا نُعاديهِ
شريعةُ الحرْبِ حمراءُ معالمُها
لا يُخْطِئُ الحَصْمُ ما فيها وما فَيِهِ

---

* العالم ٢٠٠٩/٧/٢٧ ، ٧/٢٢

بها الجماعاتُ أعداءٌ علىَ حَذَرِ
من بعضِها البعضُ تُبديهِ وتُخفيهِ
وظيفةُ الدِّين تأييدٌ وتَعْبئةٌ
يَحمِي الجماعةَ إذ يحيا وتحميهِ

***

وليسَ يُحْسنُ فَهْم الدينِ مجتَهدٌ
إذ استخفَّ بأحقادِ الجماعاتِ
فإنَّها ثَمَّ خَلْفَ الأمْرِ ماثِلةٌ
وفي ثنايا النَّواهِي والإشاراتِ
وحيثُما رَمْحَرَ الإعصارُ وانطلقتْ
منه العداواتُ في صدِّ العداواتِ
فحلجل الويلُ والتكبيلُ و انْدَلعَتْ
لظى الصراعِ عَلاَ صوتُ العباداتِ !!

***

حِقْدُ الجماعاتِ بعد الموتِ متَّصِلٌ
خَلْفَ المصائِرِ والأرواحِ في الأبد
فرعونُ لا تبرحُ التوراةُ تَلْعَنُهُ وكم
يُصَلِّى بهذا اللعْنِ مِنْ بَلَدِ
كم تُشْرِكُ الربَّ في أحقادِها أمَمٌ
وتَستعينُ عليها منه بالمَدَدِ
شريعةُ الحربِ تحيا في ضرورتِها
كل الجماعات لم تَعْدِلْ ولم تَعِدِ

***

شجيرةُ الوردِ في الغاباتِ هلْ بَقيتْ
إلا مع الشوكِ - شوكِ النافرِ الحدِرِ

مصيرُها ـ رغم هذا ـ ليس في يدِها
في قبْضَةِ الغابَةِ الشمطاءِ والقدَرِ
ماذا يُفيدُ عبيرٌ لا يشاركُـــها فيهِ
الأقاربُ من عُشْبٍ ومن شَجَرِ
وإخْوَةُ الغابِ في صَيْدٍ وفي قنصٍ
بَعْضٌ لبعضٍ على وَعْدٍ مع الحَطَرِ

***

أخي، الجماعةُ في حَرْبٍ وإن لَعِبَتْ
فقلبُها بين مغلوبٍ ومنتصِرِ
يَبِيتُ يحلُمُ رؤيا الحربِ شاعرُهـــا
فقد يُرَصِّع يَومَ النصرِ بالدُّرَرِ
وقد يُغنّي مع الأطفالِ قِصَّتَـــهَا
وقد يقودُ هُتافَ الشّيبِ لِلسّيَرِ
فلا غرابةَ والأسبابُ داعيةٌ
إذا تَعَـــلَّقَ دِينُ القـــوْمِ بالظَّفَرِ

***

لم يولَدِ السلمُ فالأرحامُ عاجزةٌ
عنْ حملِهِ وبذورُ الحرب تَمْلأَها
وكلما نَشَبَتْ في الفكرِ فِكرَتُهُ
عدا من الخوف عادِيه فأجلاها
فَظَلَّ شوقَ عقيماتٍ يداعبُها
ماهَزَّ نَشْوَةَ أحْضَانٍ وملاَّهَا
أخي، الجماعةُ لا تَنْسَى معاركَها
فيها تُحِسُّ بمعناها ومبناها

* * *

وقفا فى شحيرة الورد، مع الشاعر الأديب الحكيم، محمد عبدالله محمد، المحامى، عند تعجبه من عقم الأرحام عن أن تلد السلام، وكيف ينساق الأفراد وراء سطوة الجماعات التى لا تنسى معاركها. قد تكون الجماعة عملاقا ككل، ولكنها محض عضلات وقبضات بلا وجدان ولا قلب .. يسير الفرد فى أعقابها كنقطة بلا حيلة، شأن النملات السائرة على الجدران، حائرا بين السلم الذى لا يعده أحد، وبين الحرب التى تأخذ بخناق العرائز فيصير الناس أضدادا وأعداءً .. انظر ماذا فعلت جماعة بنى اسرائيل بعيسى المسيح . جاء يبكى الناس قاطبة لا يحركه آباء وأجداد، فاتهموه بشق أمته : بنى اسرائيل، سيق كالشاة (بغض النظر عن شخصية المصلوب) منقادا لجلاد ! فهل يخود الجماعة من فى الحب حاورها إلى محبة أغيار أو من تنزلهم لديها منازل الأعداء ؟! إن فى ملكوت الرب متسعا للكل، وشحيرة الورد لن تمنعها الأشواك من الجفاف، فلا حيلة لها فى عامة لا يستهويها سوى الحرب، بينما لم يخلق العطر للأحقاد، بل لإثراء المحبة والأحباب .. خميلة الورد فيها الورد متسم، يدعو الجميع إلى الحسنى ويبديها .. هذا الورد الذى تمسك بالعطر والصبر، لا بالعلنة بالمكر والخداع .. يذهب معاناة المتعب، ويزيد فرحة الفرحان .. السلام فهم لا يدركه إلا من نضج وطرد الخوف ـ بإيمان ـ عن أيامه القابلة ولياليه !

يقول الشاعر الحكيم محمد عبدالله محمد :

قالوا الجماعةُ عِملاق فقلت لهم
نعم ! عماقةُ الدنيا الجماعاتُ
ما للعماليق وَجدانٌ ـ لها عَضَلٌ
سُوقٌ وظَهْرٌ واكتافٌ وقبضاتُ

بها زَوابعُ فى أعماقِها سَكَنَتْ
وقسـوةٌ وغـراماتٌ وغِـرَّاتُ
إنّا نسِيرُ على أقدامِها نُقطاً
كما تسيرُ على الحيطانِ نَمْلاتُ

***

عبدُ السلامِ قَضى والحربُ حِرْفَتُهُ
هُولا تناقُضَ فالأسماءُ عِمْيَاءُ
لم يعشَقِ السلْم إنسانٌ فيُعبُدُهُ
وليس للسلْمِ إطلاقـا أَرِقَّـاءُ
هل مَنْ يقول سلامُ الله صَدَّقَها
ومَنْ يَرُدُّ ـ فكيف الناسُ أعداءُ ؟
يقولُها الكُلُّ لا صدقا ولا كذبا
فيها اقتداءٌ وتسكينٌ وإرجاءُ !

***

شجيرةُ الوردِ لا الأشواكُ تمنَعُهَا
من الجفافِ ولا الأوراقُ تُجديها
وليس للورد عند الغابِ جارحَةٌ
تُعِينُ فى الحربِ تَحْمِيه وتَحميها
لم يُخلقِ العِطْرُ للأحقادِ يورثُها
بَلْ للمحبةِ والأحبابِ يُثْرِيهَا
خَميلَةُ الورد فيها الوردُ مبتَسِمٌ
يدعو الجميعَ إلى الحُسْنَى ويُبديهَا

عيسىَ المسيحُ بَكىَ للناسَ قاطِبةً
لم يبكِ من أجل آباءٍ وأجدادِ
فقيلَ عنه شَقِيٌّ شَقَّ أمَّتَه
وسيقَ كالشاةِ منقادًا لِجَلاَّدِ
خَانَ الجماعةَ مَنْ فى الحُبِّ
جاوزَهَا إلى مَحَبَّةِ أغيارٍ وأضْدادِ
وظَنَّ فى ملكوتِ الربِّ متَّسَعًا
للكُلِّ بالفَهْم - لم يُحْصَرْ بميلادِ

***

مازال مشكلةُ العملاقِ يُشكِلُها
تباين الفهم بيَن الناس والقِيَمِ
لسنا خلاياهُ مهما قَال واصفُنَا
عن الورائةِ والأَعْراقِ والقِدَمِ
نحن الأناسِىَّ أفرادًا ويَجْمعُنَا
فَهْمُ إلى الحقِّ أو وَهْمٌ إلى صَنَمِ
المارِدُ الضخْمُ أفكارٌ وعاطفةٌ
يَهيجُ من وَقْع أحداثٍ ومن كَلِمِ !!

***

هو العواطفُ ربَّاها تَجَمُّعُنَا هو
اعتيادٌ على الإيمانِ بالعَدَدِ
هو التوافقُ فى الإيقاعِ يأنَسُهُ
طبْعُ القطيعِ ويحْمِيهِ من البَدَدِ

يزيدهُ الوصفُ أبعادًا وأقنعةً
يُمِدُّهُ الوهمُ لم يشبَعْ من المدَدِ
رقى القرودُ على أكتافِهِ مَرَحًا
وتَمسَحُ السَّاقَ ـ عِشقا ـ كَفَّ معْتَقِدِ

***

تَمَسَّكَ الوردُ إيمانا بعالَمِهِ بالعِطْرِ
والصبرِ لا بالمكرِ والغَلَبِ
وربما زادَ للفرحانِ فَرْحَتَهُ أو
كانَ عوناً لتعبانٍ ـ على تعَبِ
يقول مِعْنًى لأفرادٍ عَلَىَ حِدَةٍ
لا دخلَ فيهِ لصوْتِ الجاهِ والذَّهَبِ
السِّلْمُ فهْمٌ وفهم السِّلم يَعْرِفُهُ
من لا تِخَافُ لياليهِ من العَطَبِ